Al-Irfan: Journal of Arabic Literature and Islamic Studies
E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

Al-Balāghah ‘inda Al-Zamakhsyarî: Marhalah Nadhji Al-Bahtsi haula Al-I’jāz Al-Qur’ānī

Khaled Yahya Abdurrahman, Noza Aflisia
k.almhdle@gmail.com, nozaaflisia@iaincurup.ac.id
Universitas Islam Negeri Sunan Gunung Djati Bandung,
Institut Agama Islam Negeri Curup

Abstract: *Zamakhshari's effort is limited to the practical aspect, and highlights the role of the science of eloquence in preparing the interpreter of the Book of God, and whether Zamakhshari added new to the rhetorical standards, and models of his interpretation showing his use of rhetorical rules in understanding the Book of God. This research is a desk research. The data obtained is processed by content analysis techniques. As for the results of the research, Zamakhshari is the pillar sought by the science of interpretation; Because it is his goal and purpose, just as the science of rhetoric that Zamakhshari employed in revealing the miracle of the Qur'an is closely related to the science of semantics. Zamakhshari tries to interpret the Qur'an by organizing the vocabulary of the material into a meaning that brings it together in a single structure within a single context. He draws attention to the effect of speech systems on the meaning, so he looks at the Qur'an with the look of the verified examiner, and accordingly, the meaning is interpreted and interpreted. It provokes a dialogue in one aspect, paving the way for another dialogue to move to another verse, and he thus follows the approach of Al-Jurjani in using dialogue to reach the desired goal. He cites poetry in his explanations, and poetry was an important aspect for him to infer the validity of his interpretations.*

Keywords: ***Rhetoric, Zamakhshari, miracles, Qur'an***

البلاغة عند الزمخشري:مرحلة نضج البحث حول الإعجاز القرآني

الملخص: بين في هذا البحث جهد الزمخشري ينحصر في الجانب التطبيقي، وإبراز دور علم البيان في إعداد المفسر لكتاب الله، وهل أضاف الزمخشري جديدا إلى المقاييس البلاغية، ونماذج من تفسيره تبين توظيفه للقواعد البلاغية في فهم كتاب الله. هذا البحث هو بحث مكتبي. وتتم معالجة البيانات التي تم الحصول عليها بتقنيات تحليل المحتوى. أما نتائج البحث أن الزمخشري يرى أن الكشف عن إعجاز القرآن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الدلالة، لأجل ذلك، يحاول الزمخشري فى تفسير القرآن على طريق نظم مفردات المادة في معنى يجمعها في تركيب واحد ضمن سياق واحد. وبهذا يظهر أثر تركيب ونظم الكلام في المعنى، وبالنظر والتحقيق في النظم يتم تأويل المعنى وتفسيره. ويثير الومخشري حوارا في ناحية ممهداً لحوار آخر ينتقل إليه إلى آية أخرى، وهو بذلك يتبع نهج الجرجاني في استخدام الحوار للتوصل إلى الهدف المراد. ويستشهد بالشعر في شروحاته، فكان الشعر جانبا مهما عنده للاستدلال على صحة تفسيراته.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الزمخشري، نضج البحث، الاعجاز، القران

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

Al-Irfan: Journal of Arabic Literature and Islamic Studies
E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

المقدمة

أنزل الله القرآن الكريم وجعله كتابا معجزاً، بالغ الكمال في الفصاحة والبلاغة ولا يستطيع أحد أن يجد فيه خللا أو تناقضا مهما بلغ في الفصاحة والبلاغة قال تعالى: { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢].

هناك كثير من الدراسات التي تناولت معاني القرآن البلاغية والتي عجز العرب رغم فصاحتهم وبلاغتهم من الإتيان بمثله ، وقد تحداهم الله بالإتيان ولو بسورة من مثله، فلم ولن يستطيعوا، ومن الكتب التي اهتمت ببيان القرآن وبلاغته كتاب الكشاف لجار الله الزمخشري، وفي هذا المقال سنبين جانبا من التطبيق البلاغي لدى الزمخشري في كشافه .

إنّ دراسة الإعجاز القرآني مرَّت بمراحل عدة إلى أن بلغت مرحلة النضج ، وكان على رأس هذه المرحلة الإمام عبد القاهر الجرجاني (المتوفى سنة ٤٧١ هـ)، فقد كانت دراساته البلاغية تهتم بالإعجاز القرآني، ويرى بأن قضية الإعجاز القرآني يجب أن تحتل المقام الأول في اهتمامات العلماء، وأنَّ التعمق في فهم الإعجاز القرآني وإدراكه لا يكون إلا بدراسة دقيقة وواعية ، حتى يصل إلى درجة تنقطع عندها الآمال في معارضته.

ونجد أن خير من يمثل هذه المرحلة عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، والذي يعتبر دراسة للبلاغة القرآنية، ثمَّ أتمَّه بكتابه الثاني(أسرار البلاغة). وجاء في هذه المرحلة بعد الجرجاني الزمخشري، والذي أخذ آراء الجرجاني البلاغية والمتعلقة بالقرآن الكريم وكانت متوافقة مع رؤيته ومذهبه وقوته البلاغية، واحساسه وتذوقه للصورة .

وألَّف كتابه الكشاف في تفسير القرآن، مبيناً أسراره البلاغية، مطبقاً ما أخذه من الجرجاني، وزاد فيه ما تمليه عليه حاسته وتذوقه الأدبي ، وأتي بذلك بما لم يسبق إليه.

لقد توفي عبد القاهر الجرجاني (سنة ٤٧١هـ)، وولد الزمخشري سنة (٤٦٧هـ)، أي قبل وفاة الجرجاني بنحو أربع سنوات، فعاش الزمخشري عصرا آخر، تطورت فيه الدراسات وتنوعت فيه الأساليب، وتوسعت فيه العلوم، فأخذ بآراء الجرجاني، واستفاد من الدراسات والعلوم الجديدة في عصره وطبقها في كتابه ؛ ولذلك توسع في تفسيره عما ذهب إليه الجرجاني.

وهناك بعض الدراسات السابقة التي تم إجراؤها عن الزمخشري وعلاقته بتفكيره في البلاغة والقرآن. البلاغة هي واحدة من الدراسات في اللغة العربية. واللغة العربية هي أحسن اللغة في العالم (Aflisia, 2017). ولها دوراً مهماً في تطور الإسلام والعلوم (Aflisia, Rini, & Yul, 2021). الزمخشري هو من بين الكتاب العرب الذين كتبوا أعمالا أدبية بنوع النثر الذي يحتوي عادة على رسائل أخلاقية واجتماعية

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

ودينية. كعمل أدبي، بالطبع في مقامات عمل الزمخشري هناك العديد من عناصر الجمال الأدبي التي يمكن أن تؤثر على أي شخص يتفاعل معها (Ali Maghfur UIN Sunan Ampel & Yani, 2020). وفقًا لزمخشري، إذا كانت هناك آية تصف أن لله نفس طبيعة المخلوقات، مثل وجود أطراف، أو طبيعة الجلوس والنظر وما إلى ذلك، فإن الخطوة الأكثر أهمية هي تفسير أن تكون الآية على حسب ظروف وجلال الله تعالى (Alfiyah, 2018). الزمخشري في مدرسة نحو وشرف لديهم الكثير من القبلة أو يلتزمون بمدرسة بصرة ، وعدد قليل منهم يستخدمون مصطلح علماء الكوفة (Ridho, 2019). الزمخشري يستخدم القرآن والسنة والأثر وأفكاره في تفسير الآيات المتعلقة بالأصل الخامس (Wahyuni, 2019). في تفسير هذه الآية الشريرة ، يثبت الزمخشري أنه يتضمن خمسة تعاليم أساسية للمعتزلة ، إحداها أنه يفسر أن الشرير هو المنزل بينه وبين المنزلتين (Supriadi, 2014).

العديد من هذه الدراسات تكشف عن آراء الزمخشري فيما يتعلق بالبلاغة والقرآن من جوانب مختلفة. وسنبين في هذا المختصر التالي: جهد الزمخشري ينحصر في الجانب التطبيقي، وإبراز دور علم البيان في إعداد المفسر لكتاب الله، وهل أضاف الزمخشري جديدا إلى المقاييس البلاغية، ونماذج من تفسيره تبين توظيفه للقواعد البلاغية في فهم كتاب الله.

منهج البحث

هذا البحث هو بحث مكتبي. يستخدم الباحثان مراجع مختلفة من الكتب والمجلات العلمية لجمع بيانات عن تفكير الزمخشري في البلاغة. أسلوب جمع البيانات هو مراجعة الكتب والمقالات في المجلات. ثم تتم معالجة البيانات التي تم الحصول عليها بتقنيات تحليل المحتوى من خلال المراحل التالية: *أولاً* ، جمع البيانات عن بلاغة الفكر الزمخشري من خلال مصادر وأدبيات مختلفة. *ثانيًا* ، فهم المعنى والغرض. *ثالثًا* ، تحليل النتائج واستنتاجها وإعادة صبها في شكل هذا البحث.

البحث والمناقشة

جهد الزمخشري ينحصر في الجانب التطبيقي

الإمام الزمخشري هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها سنة ٥٣٨ هـ (الزركلي، دس).

E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

كان الإمام الزمخشري يعتمد على مذهبه في كتبه ووضع أصوله فيها، فهو معتزلي المعتقد حنفي المذهب في الفقه، وهذا كان له أثر في كتبه.

فالزمخشري يؤلف كتابا مستقلا في البلاغة، ولم يدرس قضية الإعجاز القرآني دراسة نظرية، تؤصل قواعدها ، كما فعل غيره ممن سبقه من العلماء؛ فقد اهتم بالجانب التطبيقي للبلاغة من خلال تفسيره للقرآن الكريم والذي سمّاه (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، فهو يكشف عن الأسرار البلاغية في النص القرآني والتي تبين نظمه المعجز.

أخذ الزمخشري آراء الجرجاني البلاغية والمتعلقة بالقرآن الكريم وكانت متوافقة مع رؤيته ومذهبه وقوته البلاغية، واحساسه وتذوقه للصورة ، وألّف كتابه الكشاف في تفسير القرآن، مبيناً أسراره البلاغية، مطبقاً ما أخذه من الجرجاني، وزاد فيه ما تمليه عليه حاسته وتذوقه الأدبي ، وأتي بذلك بما لم يسبق إليه (المبارك مازن، دس).

ونجد أن الزمخشري سلك طريق الجرجاني في تحليلاته البلاغية حتى قيل أنه متمم لعمل الجرجاني في البلاغة، فكلاهما تظهر نزعته البلاغية التطبيقية من خلال النص القرآني ، والنصوص الأدبية، فعندما تقرأ لهما تجد أنهما يدلاك على مواطن الجمال في النص، ويوقفانك على أسراره البلاغية العجيبة والتي تجعل النفس تميل إليه ويرضى به العقل ويسلم له .

إبراز دور علم البيان في إعداد المفسر لكتاب الله

بين الزمخشري في مقدمة كتابه ما يجب أن يكون عليه المفسر من صفات فطرية ومكتسبة تجعله أهلا للتصدي لهذه المهمة الصعبة ، حيث قال: فالتفسير في حقيقته " أملا العلوم بما يَغمُرُ القرائح ، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق مسلكها ، ولهذا فإنه « لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم .كما ذكر الجاحظ في كتاب ((نظم القرآن))

فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِرّية أحفظ ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه ... لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علم البيان وعلم المعاني ، وتمهل في ارتيادهما ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ ، جامعاً بين أمرين: تحقيق وحفظ ،كثير المطالعات طويل المراجعات ، قد رجع زمانا ورُجع إليه ، وردَّ ورُدَّ عليه ...

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

Al-Irfan: Journal of Arabic Literature and Islamic Studies
E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ، مشتعل القريحة وقادها . يقطان النفس ، دراكا للمحة وإن لطف شأنها .

وهكذا كان الزمخشري مدركا لخطر مهمته ، واعياً لشرف غايته ، متسلحاً بكل تلك الأدوات التي أشار إلى حاجة المفسر إليها.

هل أضاف الزمخشري جديدا إلى المقاييس البلاغية

إذا قلنا إن صاحب الكشاف قد اتجه بكل همته إلى الجانب التطبيقي ، وأن آراء عبد القاهر . بصفة خاصة . كانت النبراس الذي حدا خطاه في مهمته الجليلة ، فلا يعني ذلك أنه لم يضف جديدا إلى المقاييس البلاغية التي سُبق بها. فالواقع أنه قد أضاف الكثير ، كما أن جهده التطبيقي أعطى تلك المقاييس حياة زاخرة، وذلك لما يتميز به من ذائقة أدبية أضفت على تلك المقاييس البلاغية تألقاً، فقد أثبت أن تلك المقاييس كشفت ما في الأسلوب القرآني من خصائص هي سر إعجازه.

وتتلخص إضافة الزمخشري في التالي:

- تطبيق القواعد النظرية لدى عبد القاهر الجرجاني.
- إثراء الأصول البلاغية السابقة.
- إضافة أصول بلاغية ، وتحرير المسائل وشرحها.

نماذج من تفسيره تبين توظيفه للقواعد البلاغية في فهم كتاب الله

إن آراء الزمخشري البلاغية وجهده جاءت في ثنايا كتابه؛ وبالتالي فالكشف عنها وإبرازها تحتاج إلى استخراجها من مظانها في الكتاب لنجعل منها وحدة تمثل اتجاه الزمخشري في تفسيره للمعاني. و المقام هنا أضيق من أن يتسع لذلك ، لهذا سنكتفي بذكر نماذج من تحليل صاحب الكشاف لبعض آيات القرآن الكريم تكون كالشاهد على ما يتمتع به الزمخشري من علم راسخ ، وذكاء لماح ، وحس مرهف (بركة : ١٩٨٩).

قال تعالى في وصف المنافقين: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [البقرة: ١٦] فلنستمع إلى الزمخشري يضع أيدينا على جوانب القوة في هذا التعبير كاشفاً عن أثر الترشيح في الاستعارة ، وكيف يبلغ بها الذروة العليا —

يقول : « فإن قلت : كيف اشتروا الضلاله بالهدى ، وما كانوا على هدى ؛ قلت : جُعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم ، فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه ، واستبدلوها به ، ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها . فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة، والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين.

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

Al-Irfan: Journal of Arabic Literature and Islamic Studies
E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

فإن قلت : كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها ؟ . قلت : هو من الإسناد المجازي ، وهو أن يسند الفعل إلى شئ يتلبس بالذي هو في الحقيقه له ، كما تلبست التجارة بالمشترين.

فان قلت : هل يصح ربح عبدك . وخسرت جاريتك على الإسناد المجازي ؟

قلت : نعم ، إذا دلت الحال. وكذلك الشرط في صحة " رأيت أسدا " ، وأنت تريد المقدام ، إن لم تقم حال دالة لم يصح .

فإن قلت : هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبابعة علي الحقيقة؟

قلت : هذا من الصنعة البديعة ، التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا ، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ، ثم تُقفى بأشكال لها وأخوات ، إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة ، وأكثر ماء ورونقا ، وهو المجاز المرشح ، وذلك نحو قول العرب في البليد : كأن أذنى قلبه خطلا ، بأن جعلوه كالحمار ، ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة ، فادعوا لقلبه أذنين ، وادعوا لهما الخطل ، ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ، ونحوه :

ولَما رَأَيْتُ النَّسْرَ عَزَّ ابْنَ دَايَةٍ ... وعَشَّشَ في وَكْرَيْهِ جَاشَ لهُ صَدْرِى.

لما شبه الشيب بالنسر ، والشعر الفاحم بالغراب ، أتبعه ذكر التعشيش والوكر

ونحره قول بعض في أمه :

فما أُمُّ الرُّدين وإنْ أَدَلَّتْ ... بِعالِمَةٍ بأَخْلاقِ الْكِرَامِ

إذَا الشّيْطانُ قَصَّعَ في قَفَاها ... تَنفّقْناهُ بالحُبُلِ التُّوَامِ

أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه بالحبل المثني المحكم ، يريد : إذا حرفت وأساءت اجتهدنا في إزالة غضبها ، وإماطة ما يسوء من خلقها ، استعار التقصيع أولا ، ثم ضم إليه التنفق ، ثم الحبل التوام ، فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء اتبعه بما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارتهم وتصويراً لحقيقته .

قال تعالى {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [الرعد: ١٧]

استمع إلى الزمخشري وهو يبين أثر المثل في تصوير المعاني وتجليتها ، وما تضمنه نظمه من خصائص أوصلته إلى منزلة الإعجاز، يقول : هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه ، كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما . فمثّل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

فتسيل به أوديه الناس ، فيحيون به ، وينفعهم أنواع المنافع ، وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلى منه ، واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به ، وأن ذلك ماكث في الأرض ، باق بقاء ظاهرا ، ، يعيش في منافعه وتبقى آثاره في العيون والانهار ، والحبوب والثمار التي تثبت به مما يدخر ويكنز ، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة

وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشيك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمى به ، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب .

فإن قلت : لم نكرت الأودية ؟ قلت : لأن المطر لا يأتي إلا عن طريق المناوبة بين البقاع ، فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض .

فإن قلت ما معنى « بقدرها » ؟ قلت بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار ، ألا ترى إلى قوله : (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » لأن المعنى : وأما ما ينفعهم من الماء والفلز، فذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه منه ويذاب ، وهو الحلية والمتاع ، وقوله (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع) عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره، على وجه التهاون به ،كما هو هجيرى الملوك ، نحو ما جاء في ذكر الآجر : (فأوقد لي يا هامان على الطين) .

قال تعالى { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [مريم: ٤١ – ٤٥]

يوضح الزمخشري في هذه الآية ما تضمنه النظم الكريم من خصائص جعلته مطابقاً لمقتضى النصيحة والبر بالوالد : " لما أراد أن ينصح أباه ، ويبين له الخطأ العظيم الذي وقع فيه، والذي خالف فيه العقل والمنطق رتّب الكلام في اتساق تام وحسن ، واستعمل المجاملة والرفق واللين والخلق الحسن وذلك من خلال التالي:

أولا: طلب منه العلة في خطئه وهذا ليوقظه من غفلته وتماديه ؛ لأن المعبود لو كان حيا مميزاً سميعا بصيرا ، قادراً على الثواب والعقاب ، نافعا ضاراً ، إلا أنه مخلوق لاستخف عقل من أهَّله للعبادة وسيرمى بالغي المبين والظلم العظيم ، وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة ؛ فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور .

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

Al-Irfan: Journal of Arabic Literature and Islamic Studies
E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

ثانياً: دعاه إلى الحق مترفقا به ، فلم يرم أباه بالجهل المفرط ، ولا وسم نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه ذكر أن معه طائفة من العلم ، ليست مع أبيه ، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي ، فلا تستنكف ، وهب أني وإياك في مسير ، وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجيك من أن تضل وتتيه.

ثالثاً: نهاه عما كان عليه، مبيناً له بأن الشيطان الذي استعصى على الرحمن – الذي جميع ما عندك من النعم من عنده ، وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي . وعدو أبيك آدم ... هو الذي أوقعك في هذه الضلالة وزينها لك ، فأنت إن حققت النظر عابد للشيطان.

رابعاً: حذّره من سوء العاقبة ، وما سيؤول إليه، ولم يخل ذلك من حسن الأدب ، فلم يصرح بأن العقاب لاحق له ، وأنه متحقق لا محالة ، ولكنه قال : أخاف أن يمسك عذاب" فذكر الخوف والمس ونكّر العذاب ، وجعل ولاية الشيطان أكبر من العذاب ؛ وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه ، فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله ، أكبر من العذاب نفسه وأعظم. وصدّر كل نصيحة من النصائح الأربعة بقوله « يا أبت ، توسلا إليه واستعطافا).

النظم و التركيب عند الزمخشري

أولا ، العلاقة بين الكلمة والتركيب

نبين العلاقة بين الكلمة والتركيب عند الزمخشري؛ وذلك لأنه يعتبر المعنى هو الأساس والأصل ، فلا يهتم باللفظ وإنما بالمعنى، حتى عند تفسيره يحلل الألفاظ ثم يبين معانيها المقررة لديه ثم يأتي بمعنى النص كاملا من خلال سياقه ، فهو لا يفسر اللفظ منفرداً أو على ظاهره بل يفسره على ضوء التركيب الذي وقع فيه.

ونلاحظ أن هذه طريقة الجرجاني فقد سار الزمخشري على نفس الطريقة، فالمعنى عندهم هو الأصل والألفاظ سبيل للوصول إليها.

من الأمثلة التي طبق الزمخشري عليها نظرية النظم وعلاقته بالكلمة والتركيب

قال تعالى {قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً (١٧)}

يقول الزمخشري: فإن قلت : كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء؟ قلت : معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة ، فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله : متقلّدا سيفا ورمحا ، أو حمل الثاني على الأوّل لما في العصمة من معنى المنع.

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ } [الحشر: ٨، ٩]

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

Al-Irfan: Journal of Arabic Literature and Islamic Studies
E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

في هذه الآية يرى الزمخشري أن العطف في قوله تعالى (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدار) يعود على كلمة المهاجرين؛ لكن هنا قد يرد إشكال وهو: كيف تم عطف كلمة (الإيمان) على (الدار) ، ولا يصح أن يقال : تبوّؤا الإيمان؟ فيجاب عن هذا الإشكال بأن المعنى : تبوّؤا الدار وأخلصوا الإيمان " ، أي على تقدير محذوف ويستشهد بشاهد على الآية :

علَفْتُها تبناً وماءً باردا حتى غدت همّالة عيناها

أي علفتها تبناً وسقيتها ماء..

فجملة "الذين تبوءو الدار" تقابل قول الشاعر (علفتها تبنا)، وكلمة الإيمان تقابل كلمة (وماء)، فالعطف هنا على تقدير محذوف، فيقابل كلمة (التبوء) كلمة العلف، والإخلاص يقابل السقيا.

والزمخشري بعد عرض هذا الرأي في الآية جاء برأي آخر وهو أن المقصود دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه، أو أنه سمى المدينة؛ لأنها تعتبر دار الهجرة ومقر الإيمان .

فالزمخشري يعيد تفسيره لأغلب التراكيب والأساليب إلى المعنى.

ثانيا: **العلاقة بين الكلمة والسياق**

يتركز اهتمام الزمخشري على المعنى، فقضية اللفظ تابعة لمعنى التركيب ، وبالتالي فهو يناقش دلالة التراكيب من خلال السياق الذي ترد فيه ، و أمثلة ذلك كثيرة في تفسيره منها (بركة : ١٩٨٩):

عند تفسيره لقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٨].

فإن قيل: ما وجه المطابقة بين قوله : (وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) وقولهم (آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل ، والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل؟ قلت : القصد إنكار ما ادعوه ونفيه ، فسلك في ذلك طريقاً أدّى إلى الغرض المطلوب. وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره ، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين ، لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان. وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة ، فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع. ونحوه قوله تعالى : (يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها) فهو أبلغ من قولك : وما يخرجون منها.

نلاحظ أن الزمخشري في الآية السابقة يشير إلى دلالة الجملة الاسمية فهي تفيد الثبات والاستقرار في المعنى داخل السياق الذي ترد فيه بينما الجملة الفعلية تدل على التجدد أو التغيير والانقطاع.

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

Al-Irfan: Journal of Arabic Literature and Islamic Studies
E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

قال تعالى{ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٠٣]، جعل جواب لو في هذه الآية جملة اسمية(لَمَثُوبَةٌ) وليس فعلية؛ وذلك لأن الجملة الاسمية تدل على الثبات، فهنا دلت على ثبوت المثوبة واستقرارها .

قال تعالى {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً}

فإن قيل: لماذا جاء الفعل (حشرناهم) ماضياً وقد تقدمه فعلين مضارعين(نسير وترى) وهما في نفس السياق والمعنى؟ فالجواب: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ، ليعاينوا تلك الأهوال العظائم ، كأنه قيل : وحشرناهم قبل ذلك .

ثالثا: **العلاقة بين الجملة والسياق**

كما ذكرنا سابقاً بأن الزمخشري سلك طريق الجرجاني في تطبيقه لنظرية النظم، فهو ينظر إلى معنى التراكيب والجمل في السياق الذي ترد فيه ، وما يطرأ عليه من تقديم وتأخير وفصل ووصل وحذف وغير ذلك مما يختص بالتراكيب للوصول إلى الدلالة والمعنى.

١- التقديم والتأخير

للتقديم والتأخير أغراض وفوائد بحسب السياق الذي ترد فيه، فقد يكون للتوكيد أو الاهتمام ومراعاة المقام و من أمثلة التقديم والتأخير في تفسير الزمخشري:

قوله تعالى {أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ} [الصافات: ٨٦].

في هذه الآية تقدم المفعول له " أئفكا" والتقدير: أتريدون آلهة من دون الله إفكا، وفائدة تقديم المفعول له هنا الاهتمام، وتقدم المفعول له كذلك على المفعول به؛ لأنه أراد البيان بأنهم على إفك وباطل في شركهم .

قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} [النور: ٢]وقال : {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً } [النور: ٣]

في هذه الآية قدمت الزانية على الزاني أولا ، ثم قدم عليها ثانيا، فما دلالة ذلك؟ الجواب : سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا ، والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن ، فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدأ بذكرها. وأمّا الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه ، لأنه هو الراغب والخاطب ، ومنه يبدأ الطلب.

٢- الفصل والوصل

اهتم الزمخشري في تفسيره بقضية الفصل والوصل مبيناً دلالتهما من خلال السياق .

ومن أمثلة ذلك في تفسيره:

قال تعالى:{فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ }[المدثر: ٢٤، ٢٥]

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

Al-Irfan: Journal of Arabic Literature and Islamic Studies
E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

في هذه الآية لم يقع الفصل بين الجملتين بحرف العطف، فإن قيل ما سبب ذلك؟ قلت: ذلك لأن الجملة الثانية توكيد للجملة الأولى .

فالزمخشري يحاول الوقوف على السبب في ترابط الجملتين والصلة بينهما؛ فيعود إلى النظم مراعياً في ذلك معاني النحو فالتوكيد له صدى وتأثير في النفس ، بل يصل إلى مواقع في النفس أعمق وأوسع.

قال تعالى: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [البقرة: ٥]

في هذه الآية جاءت الجملتان متعاطفتان، فما سبب مجيء العطف هنا بينما لم ترد في قوله تعالى(أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ)؟ يقول الزمخشري: جاء العطف في هذه الآية {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ولم يأت في الآية الأخرى وذلك لأن الخبرين في الآية الأولى مختلفان فلذلك جاء العطف ، أما الآية الثانية فالخبران متفقان فالتسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد، فالجملة الثانية مقررة للجملة الأولى.

من خلال هذه الأمثلة يتبين لنا اهتمام الزمخشري بقضية الفصل والوصل ، وأن الفصل قد يكون في بعض المواطن أفضل من الوصل، والعكس، وذلك يظهر من خلال نظم الكلام ودلالة السياق ، والوقوف على معاني النحو وأحكامه، وهو في كل ذلك يأتي بالاستدلالات العقلية على صحة رأيه ، وبدلالة الفصل الوصل نصل إلى سر الإعجاز القرآني.

٣- الحذف

من المسائل التي اهتم بها الزمخشري في تفسيره قضية (الحذف)، فوقف على مواطن الحذف في الآيات مبيناً فوائده وقيمته البلاغية ، مقدرا ذلك المحذوف ليصل إلى الأفهام ، مستدلاً على ذلك بحجج عقلية .

ومن أمثلة الحذف في تفسيره:

قال تعالى : {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ } [الأنعام: ٢٧]

يقول: (ولَوْ تَرى) جوابه محذوف تقديره. ولو ترى لرأيت أمراً شنيعاً. ويبين أن الحذف هنا جاء من أجل المبالغة .

ومنها حذف ضمير المفعول ما جاء في قوله تعالى:(ما ودعك ربك وما قلي... ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلا فأغنى) قال الزمخشري:" حذف الضمير من (قلى) كحذفه من (الذاكرات) في قوله: (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) يريد و الذاكراته، ونحوه: (فآوى... فهدى ... فأغنى) وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف، أي لدلالة الحال عليه، وهو من باب ما حذف مفعوله

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

Al-Irfan: Journal of Arabic Literature and Islamic Studies
E-ISSN: 2622-9838, P-ISSN: 2622-9897
DOI: https://doi.org/10.36835/alirfan.v5i1.5460

لإرادة الفعل، وفي قوله:(والذاكرات) عطف على ما قبله مما جعل الكلام مستأنفا فجاز الحذف واستحسن.

الخاتمة

لقد اهتم الزمخشري بالدلالة اهتماماً كبيراً، ومرد هذا الاهتمام يعود إلى أنّ الكتاب الذي شرحه كتاب في تفسير النص القرآني، فلا بد والحالة هذه، من الاهتمام بالمعنى، وهو الركيزة التي يسعى إليها علم التفسير؛ لأنها هدفه وغايته، كما أن علم البلاغة الذي وظفه الزمخشري في الكشف عن إعجاز القرآن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الدلالة. ولقد طبق الزمخشري في تفسيره نظرية النظم فنجده يبين مفردات المادة في تركيب واحد وفي سياق واحد. منبهاً إلى أثر نظم الكلام في المعنى. ونراه يستخدم طريقة الحوار والمناقشة ليصل إلى المعنى الذي يريده فهو ينتقل من حوار إلى حوار و يثير حوارا في ناحية ممهداً لحوار آخر ينتقل إليه إلى آية أخرى، وهذه هي طريقة الجرجاني . ويستشهد بالشعر في شروحاته، فكان الشعر جانبا مهما عنده للاستدلال على صحة تفسيراته.

Submitted: 19-01-2021, Revised: 03-03-2022, Accepted: 05-03-2022, Published: 13-03-2022

المصادر والمراجع

ابراهيم، معتز. (٢٠١٩). *البلاغة في تفسير الزمخشري*، الموسوعة العربية الشاملة، (*mosoah.com*)

بركة، عبدالغني محمد سعد. (١٩٨٩). *الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره*، القاهرة : مكتبة وهبة.

توفيق، زاهره. (٢٠٠٢). *الأوجه البلاغية والدلالية في تفسير الكشاف للزمخشري* ، رسالة ماجستير.

فارس، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن. (٢٠٠٢). *الزركلي، الأعلام الناشر : دار العلم للملايين الطبعة، الخامسة عشر.*

موسى، محمد حسين أبو. (د.س). *البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، القاهرة : دار الفكر العربي.*

Aflisia, N. (2017). Musykilah Tarjamah al-Lughah al-'Arabiyyah Ila al-Lughah al-Indonesiyyah. *ARABIYATUNA : Jurnal Bahasa Arab*. https://doi.org/10.29240/jba.v1i1.198

Aflisia, N., Rini, R., & Yul, W. (2021). Dirāsah 'an Al-Ibdāl fī 'Ilmi Al-Sharfi. *Lughawiyyat: Jurnal Pendidikan Bahasa Dan Sastra Arab*, *4*(1), 24–39. https://doi.org/10.38073/LUGHAWIYYAT.V4I1.420

Alfiyah, A. (2018). Kajian Kitab Al-Kasyaf Karya Zamakhsyari. In *Jurnal Ilmu Al Quran dan Tafsir* (Vol. 1). Retrieved from http://ejournal.iai-tabah.ac.id/index.php/Alfurqon/article/view/206

Ali Maghfur UIN Sunan Ampel, A., & Yani, J. A. (2020). Al-Muḥassināt al-Lafẓiyyah wa al-Maʿnawiyyah fī Maqāmāt al-Zamakhsyarī: Dirāsah Balāgiyah. *JILSA (Jurnal Ilmu Linguistik Dan Sastra Arab)*, *4*(1), 48–70. https://doi.org/10.15642/JILSA.2020.4.1.48-70

Ridho, A. R. (2019). Analisis Kajian Morfologi Az-Zmakhsyari dalam Tafsir Al-Kasysyaf. *El-'Umdah*, *2*(1), 16–37. https://doi.org/10.20414/el-umdah.v2i1.910

Supriadi. (2014). Karakteristik Penafsiran Zamakhsyari Terhadap Ayat-ayat Fasik. *Jurnal Asy-Syukriyyah*, *12*(April), 72–97. https://doi.org/10.36769/ASY.V12I1.57

Wahyuni, R. (2019). *Al-Ushul Al-Khamsah Perspektif Zamakhsyari Studi Kritis Penafsiran Ayat-Ayat Terkait Al-Ushul Al-Khamsah dalam Tafsir Al-Kasysyaf* (Pascasarjana Institut Ilmu Al-Qur'an (IIQ) Jakarta). Retrieved from http://repository.iiq.ac.id//handle/123456789/200